عبد الوهاب اسماعيل

مرثية للزاب الصغير

اختبىء تحت موجك وامرق ، فان المياه التي اختلطت،
وقفت ساعة عندنا ...
انه الموت فاهرب لعلك يوما تؤدي الشهاده ...
اختبىء هل نميط اللثام ؟ سقطنا معا
قلّب الموت أرحامه
كان سرب من الخيل يسقط في دمه
فقرأنا له من سطور المخاض قليلا
وارتمى بين سيف الوقوف وعنف الولاده ...
استري عري ساقيكِ ، هذا هو الصرح ،
عرشكِ هذا الذي نكّرته البلاد ،
وهدهدكِ المرتمي فوق رمل المعاده ...
آه يا شجرا في الشطوط نذرنا خلاخيلك ، الموت
يعبر ، يمتد ، ينهض من جرحنا وطن
تستبيه السيوف
آن لي
أن أغضّ لك الطرف ساعة فاجأتني
وانا ممسك شعرة
كي تمرّ عليها الحتوف
لم تعد غير هذي الاكف التي ترتمي
والرؤوس التي ترتمي
فالتففت بوجه دمشق وجئت اعطني خصلة
أختفي خلفها ، ان حزني هذا الذي امتدّ منك
ابتدأنا قراءته ، كل أطفالنا حملوا وشمه
ـ « فانتبه أيها المرتمي
فوق فورته ، احترقوا واحترقنا ،
سندخل فيك نردّك عن موتنا
لست تستطيع طمس الوجوه التي
طوقتك ، سندخل فيك بأجسادنا
ونردّك ، قف عندنا » ـ
ها هي الخيل شدّت نواظرها
ثم دارت علينا رحاها
فمتنا غريبين ،
وجهي ووجهك ،
متنا غريبين
وجهي ووجهك ،

رأسك يعبر يا مروان الارض خراجا
لخراسان الراية والسيف
وعلى جبهتك الوطن المسبيّ
قصورا وغنائم
دجلة
في عينيك الفافيتين اختلطت بالزاب ،
عيرنا جذوتها
ورمينا في وجه الماء رداءك
فامتدت مدن
درنا بين أزقتها نحمل وجهك
قالوا يأتيكم من باب الشرق
يخضّب رايته بالشمس
ويحمل سيفا
أوله للشمس
وآخره للشمس
قالوا ...
كان رداؤك يطفو فوق الماء ، عبرنا
فامتدّ النخل وراءك غادر تربته
وامتد الشاطىء غادر شاطئه
لم يبق سوى وجه خراسان
يلملم أسلاب الموتى
آه مروان ...
آه مروان أخذنا خيط الدم
وامتدت سنوات الغربة
ندفن جرحا في جرح
حتى جئناك ونعرف انك لا تملك غير الصبر
آه مروان
خلع الزاب لنا بردته وكسانا فامنحنا بركاتك
المحها الآن
خيلا تطرق أبواب النار
أعنتها في كفّ الشرق
رفعنا للتحكيم رداءك
فانتفض النهر وعانقنا

الوصل